العناية النفسيّة لليتيم

عَنْ أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنهُ قالَ: قالَ رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسَلَّمَ: (خَيرُ بيتٍ في المُسلمينَ بيتٌ فيهِ يَتيمٌ يحسنُ إليهِ، وشرُّ بيتِ المسلمينَ بيتٌ فيهِ يتيمٌ يسَاءُ إليْه) أخرجه أبو داوود.

اليتيمُ وأهميّة كفالته

يعرفُ اليتيمُ بأنَّه من فقدَ أباهُ وهو صغيرٌ قبلَ أنْ يَبلغَ الحُلُم، أي قبلَ سِنِّ البُلوغِ، إذ يظلُّ يتيماً حتّى يبلغَ الحُلُمَ.

قالَ عليٌّ بنُ أبي طالبٍ: حفظْتُ عن رسولِ اللهِ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ (لا يُتْمَ بعدَ احْتِلامٍ). وبمَا أنَّ اليُتمَ هوَ فَقدُ الأبِّ الذي هوَ السَّندُ والمُعيلُ الأوَّلُ للطِّفلِ فهذا يَعْني أنَّ الطِّفلَ اليَتيمَ بحَاجةٍ إلى منْ يقُومُ على رِعايتِهِ وكفالتهِ حتّى يَكبُرَ ليكونَ عُنْصراً فعّالاً في مُجتمعٍ يضمَنُ لهُ العيشَ فيهِ بكرامةٍ لذلكَ قدْ أوْلى الإسلامُ اليتيمَ أهميّةً كبيرةً من حيثُ التّربيةِ والمعاملةِ والرّعايةِ، وقدْ وردَتْ هذهِ الأهميّةُ في العديدِ من الآياتِ كقولِهِ تعالى: (فأمَّا اليتيمَ فلا تقْهَرْ). الضحى ص٩

ولكنْ نرى أنّ الكثيرينَ مازَالوا يختصرونَ الكفَالَةَ في خنْدقِ المفهومِ المادّيِّ فحسْب، بينما غابَ مفهومُ الكفالةِ النَّفسيّةِ والمعنويّةِ والاجتماعيّةِ عن أذْهانِهم، على الرُّغمِ منْ أنَّ السُّنةَ النّبويّةَ لم تتغافلْ عنْ هذا الجانبِ المُهمّ، فجعلتْ المسْحَ على رأسِ اليتيمِ من موجباتِ الطاعةِ للهِ، وفي ذلكَ رمزٌ للحدِّ الأدْنَى مِن حُدودِ الكفالةِ المعْنويَّةِ الّتي حثّ عليها الإسلامُ، إلاّ أنَّهُ غابَ عنَّا فهمُهُ الفَهمَ الصّحيحَ.

ومنَ الجديرِ بالذِّكرِ أنّ الرّعاية النّفسيّةَ لها أثرٌ هامٌ في البِناءِ النَّفسيِّ لليتيمِ، وتعتبَرُ من الضّروريّاتِ لتحقيقِ شخصيّةٍ سويَّةٍ لا تعَاني من اِضطراباتٍ ونزاعاتٍ نفسيّةٍ، وفي حَالِ غيابِها فإنَّ اليتيمَ سيتعرّضُ إلى كثيرٍ من المخاطرِ على الجانبِ الجسديِّ والعقليِّ والنفسيِّ.

<u>ومن أهمِّها:</u>

١- انخفاضُ مستوى الذّكاءِ: حيثُ أشارتْ كثيرٌ منَ الدِّراساتِ إلى أنَّ (حِرمانَ الطِّفلِ من الرّعايةِ النَّفسيَّةِ يؤثِّرُ على الذَّاكرةِ، ويسبِّبُ ضعفَ نموِّ الدِّمَاغِ، فيصبحُ مستوى ذكاءِ الطِّفلِ أقلَّ من أقرانِهِ من نفسِ الفئةِ العمريَّةِ، وبالتّالي يؤثِّرُ هذا على التَّحصيلِ العلميِّ للطِّفلِ اليتيمِ بسببِ عدمِ القُدرةِ على التَّركيزِ والدِّراسةِ). أمَّا على صعيدِ السُّلوكِ: فقد أظهرتِ الدِّراساتُ أنَّ (الأطفالَ الّذينَ لا يتلقَّونَ رعايةً نفسيَّةً سويَّةً، فإنَّ هذا يؤثِّرُ بشكلٍ سلبي على السُّلوكِ، ويؤدِّي إلى الانحرافِ والتمرُّدِ وسُوءِ الخُلقِ. وعلى الصَّعيدِ النَّفسيِّ فإنَّ حِرمانَ اليتيمِ من الرّعايةِ النَّفسيَّةِ قدْ يسببُ له العُقدَ والأمراضَ النَّفسيَّةَ، كأنْ يُصبحَ شخصاً متعالياً على الآخرينَ، أو يُعاني منْ قضمِ أظافرِهِ أوِ القلقِ أوِ الخجلِ أو مصِّ الأصابعِ أوالتَّبوّلِ اللَّإراديِّ والاكتئابِ). العسالي -٢٠٠٨، ص٥٠

وبناءً على ما يسبّبهُ غيابُ الرّعايةِ النَّفسيَّةِ لليتيمِ منْ أضرارٍ، فإنَّ القرآنَ الكريمَ قد حثَّنا في آياتٍ كثيرةٍ على ضرورةِ إظهارِ الحبِّ والإلفةِ والحنانَ والعطفَ والرّعايَة للأيتامِ، ووعدَنا بالجزاءِ الحسنِ والدَّرجاتِ العلْيا في الجِنانِ لمنْ يعْطفُ علَيهمُ ويرعاهُمْ، ولو بمسحةِ حنانٍ أو كلمةٍ طيّبةٍ.

عن أبي أمامةَ رضي اللهُ عنهُ، أن رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليهِ وسلَّمَ قالَ :(من مسحَ رأسَ يتيمٍ لم يمسحْهُ إلاَّ للهِ، كانَ لهُ بكلِّ شعرةٍ مرَّتْ عليها يدُهُ حسناتٍ، ومن أحسنَ إلى يتيمٍ أو يتيمةٍ عندهُ، كنتُ أنا وهو كهَاتيْن). وقرنَ بين إصبعَيْه السَّبابةِ والوسْطَى.

فنون التَّعاملِ معَ اليتيمِ

هُناكَ أمورٌ تعتبرُ من فنونِ التَّعاملِ معَ اليتيمِ يمكنُ في حالِ اتّباعها أنْ تُعزّزَ خطواتِ تقديمِ الرّعايةِ النَّفسيَّةِ للطّفلِ اليتيمِ ومنها:

١-غرسُ الحبِّ والثِّقةِ في نفسِ اليتيمِ: فالثِّقةُ تُكسِبُ اليتيم الانطلاقَ والتَّجديدَ والنُّهوضَ من جديدٍ، ولهذا يَجبُ إعطاؤُهُ الفرصَ والمحاولاتِ العديدةِ، لإيجادِ الحلولِ لكافَّةِ مشاكلهِ وتكرارِ المُحاولةِ حتّى يَتمَّ التَّوصُّلُ إلى الحلولِ المناسبةِ.

٢ـ التَّربيةُ الإيمَانِيَّةُ الهَادِفةُ: وهيَ الّتي تَمْنحُ اليَتيمَ الأَخْلاقَ الإيمَانِيَّةَ الصَّالحةَ، ويكونُ ذلكَ من خلالِ عرضِ القصصِ القرآنيَّةِ والنبويَّةِ وبيانٍ عظمةِ اللهِ تعالى وزرعِ العقيدةِ السَّليمةِ في نفوسِ الأيتامِ.

٣ـ إدخالُ السَّعادةِ والفرحِ والبهجةِ إلى قلبِ اليتيمِ، حيثُ يُعدُّ هذا التَّصرُّفُ من أعظمِ القُرُباتِ والطَّاعاتِ الّتي يتقرَّبُ بها العبدُ من ربِّهِ، وهذا التَّصرُّفُ فيهِ اقتداءٌ بالرَّسولِ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم، الّذي كانَ يلاطفُ ويمازحُ الصَّغيرَ والكبيرَ.

عن أبي ذرٍّ رضيَ اللهُ عنهُ قال: يقولُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ: " لا تحقرنَّ من المعروفِ شيئاً، ولو أنْ تلقى أخاكَ بوجهٍ طليقٍ." رواه مسلم

٤ـ الكلامُ اللَّيّنُ والحسنُ معَ اليتيمِ: فالكلمةُ الطَّيّبةُ تُدخِلُ البهجةَ في النَّفسِ، عن أبي هريرةَ رضي اللهُ عنهُ قال: يقولُ الرَّسولُ الكريمُ صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم: " الكلمةُ الطَّيّبةُ صدقةٌ." أخرجه البخاري.

٥ـ رفعُ معنويَّاتُ اليتيم وتشجيعهِ على مواصلةِ النَّجاحِ، خاصَّةً بعدما يقومُ بعملٍ ما، فهذا من شأنهِ أن يقودَ اليتيمَ إلى تحقيقِ المعالي والأهدافِ المرجوَّةِ.

٦ـ عدمُ توبيخِ اليتيمِ في حالِ خطئِهِ، وإنَّما توجيههُ وتقديمُ النُّصحِ والإرشادِ لهُ، الأمرُ الّذي سيؤثّرُ ويغيّرُ سلوكهُ ونفسهُ إلى الصَّوابِ.

المراجع:

1-Allen.R. E& Olvera J.M (1982). the effects of child male treat meat on language development. Child Abuse and Neglect,6.299.305.

العسالي، أديب (٢٠٠٨) أساسيات حماية أطفال سورية من سوء المعاملة والإهمال.

المعهد العالي للدراسات والبحوث السكانية

تمت بعون الله

حسناء عباس